



المدارس المسيحية في القدس في نهاية الحقبة العثمانية دورها ورسالتها

أ.جوزيف حزبيون

المدير الإقليمي للبعثة البابوية في القدس

المقدمة

على إثر التحرير المؤقت لبلاد الشام، بما فيها فلسطين، من سيطرة العثمانيين على يد أحمد علي باشا، قام إبراهيم باشا، بدءاً من العام 1834م، بحركة تجديد وتحديث على مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والتعليمية، وفتح المجال أمام الدول الأجنبية لإقامة العلاقات وممارسة النشاطات المختلفة. كذلك، فإن استعادة العثمانيين سيطرتهم على بلاد الشام لم يتم دون تدخل ودعم أجنبي وخاصة بريطانيا، بالإضافة إلى المعاهدات المختلفة التي اضطرت العثمانيون إلى إبرامها، ساهمت في زيادة نفوذ الأجانب مما كان السبب في تأسيس الكثير من البعثات والمؤسسات الأجنبية ومن بين هذه، إقامة عدد من المدارس لتعليم الفلسطينيين، وقد طغى على الدراسات والمقالات التي تغطي هذه المرحلة التاريخية والمدارس الأجنبية تعبير «مدارس تبشيرية». كثير من الدراسات السابقة اعتبرت الإرساليات كعميل للتوسع الاستعماري ونشر الفكر

المسيحي الثقافي والديني. وقد تأثر كل من الطيراوي وسعيد بهذه الدراسات، حيث أكدوا على أن النشاط الرسولي للإرساليات الأجنبية قد ساهم في توسيع رقعة نفوذ أوروبا ليمتد إلى البلدان الخاضعة لسيطرة الإمبراطورية العثمانية، حيث أفاد سعيد بأن الإرساليات البريطانية ساهمت علناً في توسيع أوروبا. ولكن، بالمقابل، نجد من يقول إن المراجعات التاريخية لتلك الحقبة أظهرت أن تأثيرات هذه النشاطات كانت هامشية، ومعظم هذه الفرضيات لا أساس لها من الصحة، وبالتالي ضرورة إعادة النظر في هذه المواقف (Kark, 2008, p: 3, 16). ولذلك، تسعى هذه الورقة إلى فحص وضع المدارس المسيحية، التي يطلق عليها إجمالاً تعبير مدارس تبشيرية، لمعرفة دوافع تأسيسها والفئات المستهدفة وهل كانت بالفعل مدارس تبشيرية، وهل تتساوى في هذه الدوافع أم يوجد تباين بينها حسب جهة التأسيس وتاريخه.

مشكلة الدراسة

يختار القارئ عند تصفح مختلف المراجع حول المدارس المسيحية الأجنبية التي أقيمت في القدس نحو نهاية الحقبة العثمانية، أي موقف يتخذ تجاه هذه المدارس، وذلك بسبب تباين وجهات النظر بين من يعتبرها مدارس تبشيرية ووسائل لتغلغل النفوذ الأجنبي في فلسطين وبين من يعتبرها منقذاً من الجهالة التي أرادت تركيا العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد، الذي كان يخشى من سعي العرب إلى الاستقلال إذا هم نالوا قسطاً من التعليم والثقافة والوعي. ولذلك، تسعى هذه الورقة إلى فحص وضع المدارس المسيحية، التي يطلق عليها إجمالاً تعبير مدارس تبشيرية، لمعرفة عددها ودوافع تأسيسها والفئات المستهدفة وتأثيرها على الحركة الثقافية في القدس وفلسطين، وهل كانت بالفعل مدارس تبشيرية، وهل تتساوى في هذه الدوافع أم يوجد تباين بينها حسب جهة التأسيس وتاريخه. وكذلك فحص ما إذا كانت المدارس تعتبر «تبشيرية»



حسبما يرد وصف هذه المؤسسات والحركات التي ازدهرت في القدس وفلسطين في الفترة قيد الدراسة.

أهداف الدراسة

سيليقي البحث بأضواء جديدة على واقع التعليم والمؤسسات التعليمية المسيحية في القدس في تلك الفترة، ودورها في المحافظة على اللغة العربية حيّة في الأوساط الفلسطينية والمقدسية وأيضًا دورها في الحرص على تعليم الفتيات في فترة بات تعليم الشباب والتعليم عمومًا خلالها مهددًا من قبل حكومة تسعى لفرض اللغة التركية. تكمن أهمية البحث في محاولته الخروج بمعلومات محقّقة حول هذه المدارس، والتمييز بينها من حيث أهداف تأسيسها وطرق التعليم فيها والمواد التي تم تدريسها فيها، وخاصّة موقفها من ناحية نشر الديانة المسيحية بين غير المسيحيين، حيث ستكشف مختلف المصادر عن عدم صحّة هذا الادّعاء الذي يتم ترديده دون فحص دقيق لمضمونه ودلالاته. من شأن هذا البحث أن يكشف عن دور آخر لعبته الجماعة المسيحية المحلية بالتعاون مع الرهبانيات والجهات الأجنبية الغربية في مرحلة من حياة القدس وفلسطين كان فيها التعليم مهملاً من قبل العثمانيين كما يرد في بعض المراجع.

سيتم التطرق، أولاً، إلى وضع التعليم عمومًا في فلسطين في نهاية الحقبة العثمانية، ومن ثم إلى مختلف المواقف التي تناولت موضوع المدارس المسيحية، وأخيرًا ذكر أهم هذه المدارس من حيث تأسيسها ومناهجها التعليمية وما إلى ذلك.

منهجية الدراسة

تتبع الورقة المنهج التاريخي في البحث، من خلال مراجعة المصادر والمراجع واعتماد ما يمكن توثيقه مع تلافي ما يوجد شك بشأنه أو تضارب في المعلومات حوله من خلال المصادر والمراجع المختلفة.

نظرة عامة على الوضع الثقافي في الدولة العثمانية

النهضة تعبير يتم استخدامه في الأوساط الأكاديمية للدلالة على التطور النوعي الملحوظ في مجتمع ما أو دولة معينة والذي يطرأ على أنماط الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية في ذلك المجتمع (البسطامي، 2011، ص: 53)، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحركة الفكرية والثقافية التي تنتج عن الانفتاح على الإنتاج الأدبي النهضوي وترجمته وتداوله واستيعابه من قبل نخبة من أبناء المجتمع، تدرك على أثر هذا الانفتاح واقعها المرير والمأساوي، وتحاول جهدها تنظيم حركة نهضوية توائم واقعها وتنتقل إلى عصر الحداثة فيه. فالنهضة الفكرية والعلمية والثقافية التي شهدتها العصر العباسي على سبيل المثال، هي نتاج حركة نشطة من الترجمة التي طالت مختلف الإنتاج اليوناني / الإغريقي في الفلسفة والمنطق والعلوم، والذي ساهمت نخبة من المترجمين المسيحيين مساهمة كبيرة في نقله من السريانية إلى العربية. وقام البطريرك تيموثاوس الأول شخصياً بترجمة كتاب أرسطو «الموضوعات» استجابة لطلب الخليفة. وفي عهد البطريرك تيموثاوس هذا اشتهر في بغداد ما عرف باسم بيت الحكمة. من أوائل من ترأس بيت الحكمة نعرف النصراني العربي حنين بن إسحق الذي قام بنقل الكثير من الأعمال اليونانية الكلاسيكية إلى العربية ومنها: أعمال أفلاطون وأرسطو والأفلاطونية الجديدة وبعض المؤلفات في الطب لهيبوكراطس وغالن. ويقال إن الخليفة دفع لحنين بن إسحق ثمن هذه الأعمال وزنها ذهباً (Jenkins, 2008, p: 77).

لكن الوضع في فلسطين لم يتوافق مع هذا التوصيف، لأن جهود التغيير جاءت بسبب تأثيرات وضغوطات خارجية. وحسب جورج أنطونيوس، فقد انبثق فجر حركة القوميين العرب عام 1847 وذلك بتأسيس جمعية أدبية متواضعة في بيروت برعاية أمريكية. ورغم أن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قد شهدا عددًا من الثورات والاضطرابات التي



قامت إما بسبب الضرائب الباهظة أو فساد الحكام، لكنّ هذه الثورات لم تنتج أي حركة أو توجّه مدرّوس يهدف إلى إحداث تغيير ملموس على أرض الواقع (أنطونيوس، 1946، ص: 1).

ومن المرجح أن حملة محمد علي باشا التي أدت إلى فرض سيطرته على بلاد الشام طيلة فترة عشر سنوات تقريباً (1831 - 1840)، والتغييرات التي أحدثها على أكثر من صعيد، خاصة في إطار إنشاء دولة عربية مستقلة عن العثمانيين، هي التي أتاحت الفرصة لسكان المنطقة أن يفتحوا عيونهم على واقع مغاير غير الواقع الذي فرضته الدولة العثمانية، خاصة في ظل سياسة الإصلاح والتعليم التي تمكن من إحداثها خلال هذه الفترة. يضاف إلى ذلك، فرصة التعليم التي حظيت بها نخبة من الذين تعلموا في الخارج، مما أدى بهم فور عودتهم إلى العمل على إحداث نهضة في بلدانهم تحقّق لهم إحداث هذا التغيير الذي يطمحون إليه. وقد عمل إبراهيم باشا منذ عام 1833 على نشر أفكاره في بعث النهضة العربية. لكن بريطانيا لم يعجبها هذا التوجه الجديد، وخشيت ضياع طموحها في السيطرة على المنطقة، خاصة في ظل توسع النفوذ الروسي، فتحالفت مع العثمانيين وتم طرد المصريين من الشرق، وسرعان ما وقعت مصر تحت الاحتلال الإنكليزي. ومع سقوط مصر، طغت العصبية المذهبية والانتماءات القبلية على الانتماء القومي (أنطونيوس، 1946، ص: 15 - 24).

شهدت هذه الفترة، قدوم الإرساليات الأجنبية المسيحية التي قامت بتأسيس وافتتاح المدارس، مما أدى إلى تطور ملحوظ على مستوى التعليم، وخاصة إحياء اللغة العربية التي كانت مهملة في ظل النظام العثماني. وبدأ ظهور عدد من المؤلفين العرب، على رأسهم ناصيف اليازجي وبطرس البستاني اللذان تركا كماً من المؤلفات والمقالات وغيرها التي استثمرت في الأدب العربي والفكر العربي والقومية العربية. وقد عمل البستاني بدعم من الأمريكان على تأسيس جمعية علمية عام 1847 اسمها «جمعية الفنون والعلوم». وتبعهم

في ذلك اليسوعيون الذين أسسوا «الجمعية الشرفية» عام 1850. وكان جلّ أعضاء الجمعيتين من النصارى. وقد قام السوريون بتأسيس «الجمعية العلمية السورية» عام 1857 تميزت بانتساب أعضاء مسلمين ومسيحيين ودروز (أنطونيوس، 1946، ص: 46 - 48). أما في فلسطين، فقد برزت أسماء لنخب من المفكرين جديدة بالذكر، من بينهم يوسف ضياء الخالدي وروحي الخالدي اللذان آمنا بإمكانية إصلاح الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه دعما الفكر القومي العربي. وفي المواقف الفكرية يلحظ المرء عددًا من المواقف الليبرالية التي طرحها يوسف ضياء الخالدي، في إطار السعي لإصلاح الدولة العثمانية، لتصبح دولة عصرية لكل مواطنيها بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والقومية وغيرها من الانتهات (سالم، 2011، ص: 94).

وضع التعليم في الفترة قيد الدراسة

في ظل الحكم العثماني، لم تكن هناك مدارس ثانوية في فلسطين. وقد توجّب على الراغبين في الحصول على التعليم الثانوي أن يسافروا إلى دمشق. ولكن، بسبب بعد المسافة، لم يلجأ إلى هذا الخيار سوى عدد قليل جدًا. علاوة على ذلك، خلال هذه الفترة، لم تكن هناك جامعات باستثناء تلك الموجودة في عاصمة الإمبراطورية العثمانية، إسطنبول، وكانت مجالات الدراسة كلها ذات توجه عسكري. وبالتالي، فإن بُعد المسافة والقيود المفروضة على القبول جعلت التعليم العالي في متناول قلة من الفلسطينيين الذين لديهم مصلحة في متابعته (أبو سعد - شامبين، 2006، ص: 1037). وعليه، فقد تعرّض التعليم للإهمال في ظل الحكم العثماني الطويل للمشرق العربي، حيث اقتصر التعليم على عدد قليل من النخبة التي تعلّمت بجهودها الفردية، في حين غرق عامة الناس في أمية محزنة. ولم يبدأ اهتمام الدولة العثمانية بالتعليم رسميًا إلا في أواسط القرن التاسع عشر. وقد وصف أحمد أمين وضع الولايات المختلفة مثل مصر والشام بأنها متدهورة متضعضة، والتعليم فيها شكلي، لا يسد ولا يغني (أبو حنا، 2005، ص: 12 - 13).



يعزو المؤرخ سهيل زكار حالة التراجع في الحياة التعليمية إلى «أن القدس قد تأثرت كثيرًا بعد استيلاء العثمانيين عليها، لأن مصر وبلاد الشام، كانتا مركزًا لجميع أوجه نشاطات الحياة أثناء العصر المملوكي، وتمثلان المرجعية العربية والإسلامية، وتمتلكان جميع الإمكانيات والكوادر الغنية والعلمية والإدارية؛ لكن بعد الاحتلال العثماني فقدتا معظم ذلك، حيث ذهب كثير من الفنانين والحرفيين المهرة إلى الأستانة، ونُهبت المكتبات ودور العلم، ونقلت معظم كنوزها التراثية والثقافية إلى إسطنبول حيث خلاصة الذخائر العربية والإسلامية، وجلّ مخطوطات المكتبة العربية. بذلك تكون قد انتقلت بلاد مصر والشام من القلب إلى الهامش، فكان الانحدار المروع بعد الازدهار الثقافي، وانتشر الجهل والأوهام والأمية، وأصيب العقل العربي بالبطالة. وتجدر الإشارة إلى أن القدس لم تعرف قبل سنة 1869 الحياة التعليمية بالمعنى الحالي المعاصر لهذه الكلمة إلا بعد أن استجابت الدولة العثمانية للضغوط الأوروبية، فقامت بحركة إصلاحات على الصعيد التعليمي، وأنشأت إدارة المعارف والتي تسمح بافتتاح المدارس الحكومية والمدارس الإسلامية الخاصة، والمدارس الخاصة التبشيرية (أحمد، 2009، ص: 205).

على الرغم من أن الإمبراطورية العثمانية تولت رسميًا مسؤولية تقديم الخدمات التعليمية في المنطقة في عام 1846، إلا أنها لم تنجح في إنشاء نظام المدارس العامة الابتدائية والثانوية على غرار النظام الفرنسي حتى عام 1869. نظرًا لعدم وجود منهج دراسي خاص بهم، فقد اتبع العثمانيون ببساطة المنهج الفرنسي، مما يعني أنهم عملوا على ترجمة الكتب المدرسية الفرنسية إلى اللغة التركية وتم اعتماد المعايير الفرنسية. نظرًا لأن مستوى التعليم الذي تقدمه المدارس العامة العثمانية كان منخفضًا نسبيًا، ولأن اللغة التركية كانت لغة التدريس، لم تكن المدارس ناجحة جدًا في جذب السكان العرب الفلسطينيين. بالإضافة

إلى هذه المدارس، انتشرت مدارس فلسطينية خاصة، تعرف بالكتّاب، تعلم الأطفال من سن الخامسة وحتى الثانية عشرة قراءة القرآن والكتابة. نحو نهاية الحكم العثماني، 22٪ فقط من المسلمين ارتادوا المدارس، وحوالي 50٪ منهم تعلموا في مدارس خاصة (أبو سعد - شامبين، 2006، ص: 1036).

حاول قانون التعليم لعام 1869 إذًا، ضبط شؤون التعليم بطريقة منظمة، وتسيير مراقبة حكومية للتعليم في المدارس، حيث أنشئت في عهد عبد الحميد مدارس جديدة لتعليم الطلاب بعد المرحلة الابتدائية وذلك في البلدات والمدن، ومنها القدس. لكن التنفيذ كان بطيئًا جدًا، ولم يوفر لعامة الشعب إلا مدارس قليلة في بعض المدن وكانت مدة الدراسة فيها أربعة أعوام، وقد عرفت باسم المدارس الرشدية. وكان يتعلم التلاميذ فيها «العلوم الدينية واللغة التركية ومبادئ اللغتين العربية والفارسية». كانت تدرس اللغة العربية للاستفادة منها في تفسير القرآن والحديث، كما كانت تدرس اللغة الفارسية للاستعانة بها في دروس الأدب العثماني. أما ما سُمّي المدارس الإعدادية فيكون إنشائها في مراكز الأقضية أو الألوية التي يتجاوز عدد سكانها ألف بيت. وكانت موضوعات التعليم فيها: اللغة التركية والحساب والهندسة والقانون العثماني والتاريخ العام والجغرافية والطبيعة والمنطق والكيمياء والجبر والرسم. ويتعلم التلاميذ لغة أوروبية هي اللغة الفرنسية، ولا تدرس فيها اللغة العربية. وقد تعرضت هذه المدارس في مطلع الأمر لاضطهاد السلطات جراء تعليمها اللغة العربية، وهو ما كان يتعارض مع سياسة التتريك. كما كانت تغذي الروح القومية، الأمر الذي دعا إلى اتخاذ قرار بجعلها تحت مراقبة حكومية شديدة للإشراف على ما يجري فيها (أبو حنا، 2005، ص: 13 - 14).

أوجزت جريدة القدس عام 1908، تحت عنوان «نهضة علمية في القدس»، ما ورد



على لسان أهم المشاركين في مؤتمر عقد في القدس عقب وصول حزب الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم في تركيا، وإعلان الحزب على ما يبدو استعداداه لدعم تحقيق نهضة علمية حقيقية في القدس، حيث أعرب نائب الشرع الشريف ووكيل المتصرفية، محمد طاهر أفندي الأتاسي عن دور الاستبداد في تحويل عدد من المدارس إلى أهداف غير ما وضعت لأجله. في حين أكد الشيخ عبد الحميد سعيد أفندي الرفاعي الطرابلسي، الذي حلّ في القدس مرتين بصفته نائباً، أنه طلب من الدولة العثمانية في السابق أن يتم افتتاح المدارس في القدس، لكنها رفضت. وأما الآن، فإن «الإخوة رجال جمعية الاتحاد والترقي العثمانية يأخذون بيد العلم والعلماء». وقد حضر الاجتماع عدد من أعضاء الجمعية (جريدة القدس، أيلول 1908).

يفهم القارئ للمقالة أن وضع التعليم في القدس خلال الفترة العثمانية قد شهد تراجعاً ملموساً عن الزمن السابق، وبذلك يكون الإصلاح الذي قامت به الدولة العثمانية مع قانون عام 1869 هو إصلاح شكلي وليس جوهرياً، ولم يؤدِّ إلى إحداث تغيير ملموس على واقع التعليم، حيث عملت جمعية الاتحاد والترقي على بعث الأمل في النفوس بإمكان إحداث تغيير حقيقي في التعليم.

ولقد أشارت جريدة «فاكيت» التركية الى واقع الحال المأساوي ومدى رداءة الوضع التعليمي في القدس، حيث أشار التقرير إلى أن القدس ومحيطها تعجّ بالمدارس الأجنبية في حين أنه لا يوجد إلا مدرسة رشدية واحدة فقط، وأنه قد تم مؤخراً تعيين معلم بديل للمعلم الذي توفي قبل سنتين (Demirkan, 2020, p: 1). وبالتالي رغم افتتاح 52 مدرسة ابتدائية، لكن نصيب القدس كان أقل القليل. حيث تشير التقارير والأخبار على أن تصليح التعليم كان شكلياً أكثر منه جهد حقيقي على أرض الواقع.

وأكد جورجى زيدان (1914) في مقالة له على صفحات مجلة الهلال، على الواقع
المأساوي في المدارس الحكومية، حيث كتب:

«التعليم على الإجمال ضعيف في فلسطين مثله في معظم المملكة العثمانية. بل هو
في فلسطين أضعف مما في سواها. ويصدق ذلك على المدارس الوطنية الأميرية وغير
الأميرية. ونخص الكلام في القدس لأنها أرقى سائر مدائن فلسطين في التعليم. وليس
فيها من المدارس الكبرى الوطنية إلا المدرسة الدستورية لخليل أفندي سكاكيني ومدرسة
روضة المدارس للشيخ محمد الصالح الحسيني ومدرسة إعدادية للحكومة، وكلها تشبه
المدارس الابتدائية عندنا، وقس على ذلك سائر مدارس فلسطين الوطنية. وليس في
فلسطين مدرسة كلية وطنية».

ثم أتبع زيدان (1914) ذلك بذكر سريع لبعض المدارس الأجنبية، وبنظر زيدان، هي
مدارس أجنبية لأن الإرساليات الأجنبية قامت بتأسيسها، رغم أن المستفيدين منها هم
بكليتهم من التلاميذ الفلسطينيين والعرب. وهذه هي أهم المدارس الأجنبية في القدس
وفق زيدان:

1. دار الأيتام السورية: أسسها الدكتور شنيلر الألماني سنة 1860 بجده واجتهاده.
قضى أهم سني حياته في هذا المشروع؛ يدير شؤونه ورغبة في عمل الخير. وقد
جمع له المال من المحسنين بألمانيا وأميركا وروسيا وسويسرا وأنفقها كلها في
إنشاء هذا المعهد العلمي الخيري لتعليم الأيتام الذين ليس لهم من يعولهم.
وتخرج في هذه المدرسة مئات من الشبان والشابات وفيهم طائفة من العميان.
وقد تعلموا اللغات أو بعض الصنائع وضمنوا لأنفسهم أسباب الرزق،
وقد اتسعت هذه المدرسة وتعددت فروعها وأبنيتها، وفيها معامل للخزف
ومصانع للحداة والكراسي والنجارة وغير ذلك. وفيها قسم داخلي وآخر



خارجي . وعدد تلاميذها نحو (750) تلميذاً، منهم (400) داخليون . ونحو خمسين فتاة . وعدد العميان فيها نحو (50) أعمى . وعدد المعلمين نيف وأربعون معلماً، منهم 23 لتعاليم العلوم واللغات و22 لتعليم الصناعات» (زيدان، 1914، ص: 603) .

2. مدرسة غويات للإنكليز: يديرها أسقف إنكليزي اشتهر بفضلته وتفانيه في تربية الناشئة . وهي من أحسن المدارس لتعليم اللغة الإنكليزية وآدابها . وقد تخرج فيها طبقة من الأدباء، بعضهم جاء من مصر واشتغل فيها .

3. مدرسة صهيون: وهي إنكليزية أيضاً وتخرج فيها كثيرون، وهناك مدارس أخرى لسائر الطوائف النصرانية . لكن أكثرها صغيرة لا تستحق الذكر هنا . وبلغنا أن الآباء اليسوعيين قرروا إنشاء كلية في القدس على نسق كليتهم في بيروت» (نفس المرجع) .

بالإضافة إلى ما أورده صاحب الهلال، نفهم أن هناك مدارس أخرى للمسيحيين في القدس، لكنها، من وجهة نظره، لا تستحق البحث والذكر . ولعل هذا أحد أسباب إطلاق تعبير «مدارس تبشيرية» على كل المدارس المسيحية، لأن الاهتمام كان منصباً على المدارس التي أنشئت لربما بهدف تبشيري . ولكن الملفت للنظر، أن نشاط هذه المدارس على ما يبدو كان موجّهاً للتلاميذ المسيحيين أكثر منه للمسلمين أو اليهود، وذلك بدليل عدم وجود أي تقارير تبين ارتفاعاً مشهوداً في عدد المسلمين أو اليهود الذين دانوا بالنصرانية على أثر نشاط هذه المدارس (Kark, 2008, p: 1) .

والملفت للنظر في مقالة زيدان (1914)، أنه خصّص معظم مقالته للإشادة بالمدارس التي أسسها الصهاينة لليهود في القدس وفلسطين وكأنتها النموذج الذي يجب الاحتذاء به . فيما نجد عند الأكاديميين اليهود نقداً لاذعاً لهذه المدارس الصهيونية في القدس التي

اهتمت بتعليم اللغة العبرية أولاً، ومن ثم الإنكليزية ابتداءً من الصف الخامس، فالعبرية و / أو الفرنسية. الأمر الذي لم يعجب عدداً كبيراً من اليهود الذين رغبوا في مستوى أعلى وأقوى من اللغات الأجنبية، ولذلك فضل هؤلاء إرسال أبنائهم وبناتهم إلى المدارس المسيحية (Halperin, 2014, p: 740). حقيقة الحفاظ على التعليم المنفصل وإنشاء مدارس للبنين وأخرى منفصلة للبنات، شجع بدوره اليهود على إرسال بنينهم وبناتهم إلى المدارس المسيحية، حيث بلغ عدد طلاب المدرسة الإنجيلية للبنات في القدس (100) طالبة، بينهم (30) طالبة يهودية (Halperin, 2014, p: 740).

وقد أكد جورج أنطونيوس على أن النشاط الرسولي للبعثات الأجنبية الكاثوليكية كان محدوداً، ولم يتعد تأسيس بعض المدارس وأماكن العلم ونشر بعض الكتب الدينية التي تتعلق بالعبادات. وقد صعب عليهم العمل خارج نطاقهم الطائفي بسبب التعصب الشديد الذي كان سائداً في ذلك العصر، فصرّوا جُلَّ عنايتهم نحو الطوائف المرتبطة بكنيسة روما. في حين أن النشاط البروتستانتي الأمريكي (البرسيبيريان) بدأ منذ العام 1820، وإذ لم يكن لهم أتباع في منطقة الشرق، فقد وجّه نشاطه التبشيري بين الطوائف الكاثوليكية (أنطونيوس، 1946، ص: 25 - 26).

وقد تباينت ردود الفعل في هذه المدارس إزاء ظاهرة ارتفاع عدد التلاميذ اليهود، حيث عبّرت سوزان إيميري في تقرير لها عن أوضاع مدرسة القدس الإنجيلية للبنات، عن شعورها بالإحباط إزاء ارتفاع عدد التلميذات اليهوديات (Halperin, 2014, p: 740). فإذا كان هدف المدارس الأساسي هو التبشير، فهل كانت المديرية ستمتعض من ازدياد عدد التلاميذ اليهود؟ ولذلك من الضروري مراجعة هذا التعبير الذي يتم تعميمه بشأن المدارس المسيحية خاصة بعد أن نلقي نظرة في القسم القادم على أهم المدارس وعملها.



المدارس المسيحية، مواقف متباينة

يقول الدكتور محمد أحمد في وصف المشهد الثقافي في الفترة العثمانية:

شهدت القدس في القرن التاسع عشر، ولاسيما عصر التنظيمات، تطوراً فكرياً وثقافياً، وقد مهّد حكم محمد علي لفلستين (1831 - 1840) لهذا التطور وكانت نقطة تحول في تاريخ القدس، إذ شهد الحكم المصري شيئاً من تحديث الإدارة، ونشر روح التسامح، وطبّق أفكاراً تحديثية في أسلوب الحياة في القدس عندما سمح بدخول التأثيرات الأوروبية التي زادت من النشاط الثقافي، وشعرت الدولة العثمانية بضرورة إنشاء مدارس حكومية لتدريب التلاميذ وتعليمهم حسب النظم الحديثة، فبادرت الدولة إلى إنشاء المكاتب الإعدادية، وصدرت أول حولية لنظارة المعارف العمومية العثمانية عام 1898 وأشارت إلى ضرورة تطوير المناهج في القدس بما يكفل تطبيق أحدث التطورات التربوية مع الحفاظ على قيمنا الروحية والقومية والاهتمام بالتربية البدنية والعسكرية، وفي عام 1896، ضم المكتب الإعدادي في القدس 81 طالباً، وكان هناك أربع مدارس للطوائف المسيحية، ثلاث إعدادية، وواحدة لكل من الروم والأرمن واللاتين ضمت (104) طلاب، والرابعة للروم بالمرحلة الأساسية ضمت (140) طالباً.

أما المدارس الأجنبية فقد كانت تابعة لمؤسسات تبشيرية مسيحية، فكان في القدس مدارس للفرنسيين يتعلم فيها التلاميذ القراءة والكتابة بالعربية والإيطالية واللاتينية، وأيضاً كان هناك مدرسة حياكة للفتيات العربيات، كما أنشأت النساء الألمانيات مدرسة لليهود قرب كنيسة قبر المسيح لتعليم صبية اليهود الحرف، وفتحت الطائفة اليونانية الأرثوذكسية مدرسة للصبيان العرب على أساس منهج أشمل وأحدث من ذلك الذي كان يُدرّس في مدرسة القدس المخلص، كما أسّس الدكتور الألماني شنيلر (Schneller) سنة 1860 دار الأيتام السورية والتي كانت عبارة عن معهد لتعليم الأيتام الصنائع

واللغات، ضمت نحو (700) تلميذ، وكان فيها معامل للخزف وتعلم النجارة والحدادة، كما كان لليهود في القدس مدارس تعلم التوراة والتلمود ومدارس تعلم العلوم الحديثة، وأشهر مدارسهم في القدس كانت مدرسة الأليانس ومدرسة بيت سالييل ومدرسة لاميل وغيرها.

وكانت في القدس مكتبات تابعة للطوائف المسيحية ومن أقدمها مكتبة القديس المخلص، والتي تضم ما يزيد على 25 ألف كتاب بلغات مختلفة، وكذلك المكتبة البطريركية الأرثوذكسية والمكتبة الإنجيلية وغيرها، والتي كان لها دور مهم في الحفاظ على التراث المقدسي (أحمد، 2009، ص: 207).

فماذا كان موقف النقاد من هذه المدارس؟ هل هي كما يشاع مدارس تبشيرية بالمعنى الديني أي إنها تهدف إلى استقطاب المسلمين إلى الديانة المسيحية؛ أم تبشيرية بالمعنى السياسي أي إنها تهدف إلى خلق قاعدة تنشر من خلالها الدول الاستعمارية سياساتها وتضع لها وطأة قدم في فلسطين؟ أم أنها كانت مدارس تهتم أولاً وأخيراً بنشر العلم بين أبناء فلسطين المحرومين من فرصة للتعليم في ظل الدولة العثمانية؟ والواقع أن أهداف هذه المدارس اختلفت حسب جهة التأسيس، ولكنها تشترك جميعاً كما سنرى في أمر واحد، وهو أن أيّاً من المدارس لم تعمل يوماً على استقطاب التلاميذ المسلمين إلى المسيحية، وبالتالي يمكننا أن ننفي عنها وبكل ثقة أنها مدارس تبشيرية بالمعنى الديني. والجدير بالذكر، أن أحداً من الذين أطلقوا على هذه المدارس تعبير «مدارس تبشيرية» أو استخدموا في تقاريرهم ودراساتهم هذا التعبير، لم يقدموا أي دلائل أو معلومات تفيد ما المقصود بمدارس تبشيرية من حيث المبدأ، أو كيفية التبشير ومن المستهدف من هذه الأعمال، أو أي إحصائيات حول عدد المرتدين عن الإسلام إلى المسيحية، أو ما هي سياسات التبشير وكيفية تنفيذها، مما يدل على أن غالبية من كتب في الموضوع استخدم



التعبير نقلاً وتقليداً دون تمحيص أو فحص أو دراسة لمدلولات التعبير.

لا شك أن مواقف النقّاد تباينت بدرجات كبيرة، فمن جهته، يعتبر مروان محمد الأقرع في دراسته أنّ المدارس المسيحية هي حملة صليبية جديدة قادتها الكنائس الغربية لإعادة الاستيلاء على القدس عن طريق التغلغل الثقافي. فقد شهدت القدس «في وسط القرن التاسع عشر حركة تعليمية نشطة؛ حيث كان هناك تنافس محموم بين مختلف الأديان والطوائف على استقطاب الطلاب؛ لما في ذلك من تأثير عليهم، ونشطت الإرساليات النصرانية التي كانت تقود الحملة الصليبية السلمية التي كانت تهدف إلى إعادة استيلاء الصليبيين عن طريق التغلغل الديني الثقافي والخيري، وأدى هذا التنافس المحموم بين الطوائف المختلفة إلى تأسيس المدارس التي كانت جزءاً من الحملة الصليبية الجديدة، والتي كانت تدعو لها الكنائس الغربية المدينة، وهذا الأمر دفع بقية الكنائس إلى التنافس على إيجاد موطئ قدم لهم في المدينة» (الأقرع، 2020، ص: 106).

وكذلك الأمر، تشير كل من تراكة خضرة وبزيو دلال في الفصل الخاص بالتعليم الأجنبي من دراستهما إلى أنه:

«كان المشرق العربي، خاصة فلسطين، هدف الطوائف الدينية، اليهودية والمسيحية خاصة، لأنه مهد المسيحيين من جهة، وللثأر من الإسلام الذي انتشر على أراض شاسعة في العالم وخاصة بيت المقدس ومناطق أخرى من جنوب أوروبا من جهة ثانية، وأهمية موقعه أيضاً من جهة ثالثة، ولما فشلت الحروب الصليبية في تحقيق هذه السيطرة غير الأوربيون مخططاتهم التوسيعية، فاعتمدوا على الكنيسة للقيام بحركة تبشيرية واسعة، بدأت إرسالياتها تمتد إلى بلاد الشام منذ القرن السابع عشر، ولم يحل القرن التاسع عشر إلا والإرساليات قد انتشرت بكثرة، وتنوعت طوائفها من فرنسيين وإنكليز وأمريكان وروس... الخ وكان عمل المبشرين غير مقتصر على الجانب الديني فقط، بل اتخذ ميادين

أخرى لكسب المزيد من الحلفاء الدائمين، ومن أبرز هذه الميادين التعليم» (تراكة وبزيو، 2023، ص: 51).

ولكن ما وراء هذه الشعارات الرنانة، يخلو موضوع الفصل الخاص بالتعليم الأجنبي من أي إشارات حقيقية ملموسة إلى كيفية تنفيذ أوروبا سياساتها الاستعمارية من خلال المدارس.

وعلى ما يبدو، فقد كان لخليل السكاكيني في تبريره لقراره إنشاء المدرسة الدستورية، موقفًا مشابهًا في رفضه للمدارس الأجنبية بحجة أن «المدارس الأجنبية كانت مدارس تبشيرية لا تنطبق على حاجات البلاد ورغبات الأهالي، وكان المسؤولون عنها أجنب يجهلون أحوال البلاد ولا يعرفون إلا القليل عنها» (صلاح الدين، 2020، ص: 679). ويلاحظ أن خليل السكاكيني أطلق على المدارس تعبير «الأجنبية»، مع أنه استخدم أيضًا لفظة «التبشيرية» لكن دون تقديم أي إشارة أو دلالة على عملها التبشيري، فهل استخدم السكاكيني لفظة «التبشيرية» من منطلق التمييز، كونها اللفظة التي يفهمها قرّاء ذلك الزمان؟ لعل ذلك هو التفسير الأقرب إلى الواقع.

وعليه فقد اعتبرت عدد من الدراسات السابقة المدارس الإرسالية كعميل للتوسع الاستعماري ونشر الفكر المسيحي الثقافي والديني. وقد تأثر كل من الطيراوي وسعيد بهذه الدراسات، حيث أكدوا على أن النشاط الرسولي للإرساليات الأجنبية قد ساهم في توسيع رقعة نفوذ أوروبا ليمتد إلى البلدان الخاضعة لسيطرة الإمبراطورية العثمانية، حيث أفاد سعيد بأن الإرساليات البريطانية ساهمت علنًا في توسيع أوروبا. ولكن، بالمقابل، تقول روث كارك في دراستها بأن المراجعات التاريخية لتلك الحقبة أظهرت أن تأثيرات هذه النشاطات كانت هامشية ومعظم هذه الفرضيات لا أساس لها من الصحة وبالتالي يدعو أصحاب هذا الموقف إلى



ضرورة إعادة النظر في موقف الطيراوي وسعيد (Kark, 2008, p: 3, 16).

ويبدو أن صاحب جريدة القدس كان يوافق سعيد والطيراوي فيما ذهب إليه، حيث جاء في مقالة بعنوان «كيف ترتقي الأمة»، ما يلي:

أما المدارس الأهلية في بلادنا فهي المدارس الأجنبية التي أنشأها النزلاء والأجانب، وهذه المدارس الأهلية الأجنبية كما لا يخفى على كل ذي عقل سليم أضرت بلادنا ضرراً بليغاً، وذلك لأن هذه المدارس الأجنبية كانت سبباً لتمسك بعض شبابنا المتخرجين فيها بالعوادات الإفرنجية والمبادئ الغربية وتركهم بعض عاداتنا التي ربما كانت أسمى وأفضل من هذه الفوائد، ويكفي أنه إذا خرج منها الشاب بعد نهاية مدته المدرسية لا يعرف من تاريخ بلاده أو عاداتها أو آدابها شيئاً ولا يعتد بأمر جنسيته أو لغته أو وطنيته، بل لا يعرف شيئاً من واجباته نحو أمته وبلاده لأنه قضى أحسن أيام الشبيبة تحت جو غريب يبعده عن كل هذه العواطف والإحساسات الحرة التي عليها وحدهما يتوقف مستقبل الوطن. ونوال الاستقلال الصحيح والحرة الحققة. فكم رأينا بأعيننا وشاهدنا بأنفسنا من هؤلاء الشبان الذين تخرجوا في تلك المدارس الأجنبية أنهم يعرفون من تاريخ الأمة الفرنسية أو الإنكليزية أو الأميركية أو الألمانية وأحوالها العمومية وشؤونها الداخلية ومن موقعها الجغرافي وإيراداتها ومحصولاتها شيئاً كثيراً، ولكنهم ويا للأسف إذا سئلوا عن شيء يتعلق بحالة بلادهم من هذا القبيل لازموا الصمت ولم يدروا كيف يكون الجواب، بل إن الأدهى من ذلك كله أن بعض هؤلاء الشبان إذا ذكر أمامهم اسم الشرقيين أظهروا الاشمئزاز والاستنكاف وتظاهروا بالهزء والازدراء، حتى يخال الناظر إليهم أنهم ليسوا من الشرقيين وليس الشرق مسقط رأسهم ومنبت شعبتهم فيا للعار والخجل (القدس، تشرين الأول، 1908).

ولكن من جهة ثانية، نجد أن الفلسطينيين والعرب لم يجدوا في المدارس المسيحية أي

خطر يستحق تجنبها. بل بالعكس، فقد عبّروا عن تمسكهم بهذه المدارس إزاء قرار عبد الحميد فتح عدد من المدارس لتطوير التعليم في فلسطين والبلدان العربية تحت سيطرة العثمانيين، حيث كان جواب العرب: «نحن لا نستطيع ترك أطفالنا في الجهالة، بينما أطفال إخواننا المسيحيين يترددون إلى المدارس، إذا كنتم حريصين على ألا نرسل أطفالنا إلى الإرساليات المسيحية فافتحوا لنا مدارس مناسبة». يبدو أن هذه الحجة وجدت صدى عند عبد الحميد الذي فرض ضريبة على المسلمين وزعم أنها لصيانة المدارس التي فتحتها. ولكن العرب لم يقتنعوا بهذه المدارس، ولم يرغبوا بإرسال أبنائهم هناك، أولاً لأنها لا تدرس اللغات الأجنبية، وثانياً لا يشكل تعليم اللغة العربية فيها إلا حيزاً ثانوياً، بينما كانت اللغة التركية تأتي في المرتبة الأولى. ويقول عازوري عن هذا الوضع: «بالطبع زاد محصول الضرائب التي فرضت لصالح المدارس على عشرين ضعفاً عن مصروف صيانة الأبنية القذرة والأساتذة الجهلة الأجلاف الفاسقين الذين تدفع رواتبهم بمشقة. لكل هذه الأسباب استمر العرب بإرسال أطفالهم إلى مدارس المسيحيين» (عازوري، ص: 202).

وقد أيّد نجيب عازوري هذا التوجّه الإيجابي تجاه المدارس المسيحية، حيث أفاد بأن الأتراك خافوا دائماً من بزوغ الوعي القومي عند العرب أكثر من خوفهم منه لدى الشعوب الأخرى، إذ أنهم يعرفون حق المعرفة أنه في اليوم الذي يريد الناطقون بلغة القرآن المتناسقة الانفصال عنهم، تتداعى إمبراطوريتهم كما يتداعى قصر من ورق. لهذا السبب بذل الأتراك جهدهم، بنظره، لمنع تطور التعليم والتجارة والزراعة والصناعة في إمبراطوريتهم، وخاصة في البلدان العربية. لأنهم مقتنعون بأن هذه الأمم على اختلافها ستحرر من سيطرتهم، يوم تتعلم وتعنى لتؤسس ممالك مستقلة خاصة بها. يبدو أن عازوري استمدّ وجهة نظره هذه من حقيقة أن انتزاع جبل لبنان نوعاً من الحكم الذاتي



واستقلال مصر قد زاد من هذه المخاوف، يضاف إليهما تأسيس الخدمات الملاحية البخارية المنتظمة بين سوريا ووادي النيل. خاصّة وأنّ ذلك قد أدّى إلى تهافت البعثات الأجنبية إلى جبل لبنان لتفتح فيه مدارس تعلم اللغة العربية وآدابها، إلى جانب الآداب الأجنبية. فأبصر النور في هذه المناطق تلاميذ لم يستخدموا طاقاتهم في ظل الحكومة التركية، فوجدوا في مصر مجالاً لنشاطهم، وتفتحت في الوقت نفسه مجالات واسعة للاتصالات بين قطر حر وأمة مستعبدة. وقد راعَ هذا التقدم الأتراك، فحاولوا عرقلة نشاط البعثات بعدد من القوانين والنظم، ولكن دون جدوى. ويرى عازوري أن الأتراك حاولوا منع المسلمين من إرسال أطفالهم إلى مدارس المسيحيين، لا خوفاً من تغيير دينهم كما يدعون، بل خوفاً من أن تعي الأجيال الصاعدة القومية العربية ذاتها بجميع أجزائها (عازوري، ص: 201).

والواقع، كما يبدو من عدد من الكتاب من تلك الفترة، أنّ المدارس المسيحية صبّت جلّ اهتمامها على المسيحيين في المقام الأول، فاستهدفت المدارس الكاثوليكية التلاميذ الأرثوذكس، في حين استهدفت البروتستانتية التلاميذ الكاثوليك والأرثوذكس. ولم تحاول أي من هذه المدارس نشر المسيحية وتعاليمها بين المسلمين في أي وقت كان. وفي هذا الإطار ينفي حنا أبو حنا أن تكون الإرساليات المسيحية الأوروبية قد سعت لتنصير المسلمين في إطار الحكم العثماني الإسلامي. ويؤكد على أن نشاط الإرساليات والمبشرين من الطوائف المسيحية الغربية (الكاثوليك واللاتين والبروتستانت قد تمحور حول اجتذاب أبناء الطائفة الأرثوذكسية الذين كانوا يخضعون لحكم الكهنة اليونانيين الذين احتكروا السيادة والتصرف في الأملاك، ونشب بينهم وبين أبناء الطائفة العرب صراع عنيف امتد عبر السنين، فسارعت هذه الإرساليات إلى النشاط تحت شعار «استرداد الخراف الضالة» و«عضد الأرثوذكسية في البلاد المقدسة» (أبو حنا، 2005، ص: 8).

المدارس المسيحية في نهاية الحقبة العثمانية

أولاً، مدرسة الرهبان الفرنسييسكان (تراسنطا)

هي أقدم المدارس المسيحية على الإطلاق، أسسها الرهبان الفرنسييسكان الذين نزلوا فلسطين وأقاموا مركزاً لهم في القدس وتولوا مسؤولية حراسة الأماكن المقدسة الرئيسية، وسرعان ما باشروا بتوجيه عنايتهم أيضاً إلى الجماعة المسيحية المحلية المقيمة في البلاد، حيث اهتموا بالأقلية الكاثوليكية أولاً ومن ثم بالإخوة المنشقين الأرثوذكس.

أول وثيقة تذكر النشاط التعليمي للفرنسييسكان في فلسطين نجدها لدى الحاج «يوحنا كوتفيتش» من أوتربخ، الذي زار فلسطين عام 1598 ذكر فيها مدرسة في بيت لحم بفضلها صار اللاتين والأرثوذكس على السواء يتحدثون الإيطالية التي علمهم إياها الرهبان وذلك لكي يعملوا في الترجمة لخدمة الحجاج. ويذكر «كوتفيتش» أن أهالي بيت لحم أرادوا من الفرنسييسكان مواصلة نشاطهم التعليمي هذا للحفاظ على ما أصبح في بيت لحم تقليداً يتناقله الأبناء عن الآباء، في إشارة واضحة إلى أن مدرسة بيت لحم كانت ناشطة منذ عدة عقود (Hazboun, 1991, p: 55).

أما عن مدرسة الفرنسييسكان في القدس، فيقول أحد الفرسان من دارفيو عام 1600: «يتعلم أبناء المسيحيين الترنيم والموسيقى. وقد تم تخصيص رهبان لتعليم هذه الأمور، في حين يعلمهم رهبان آخرون القراءة والكتابة باللاتينية والإيطالية، وغيرهم يهتم بالتعليم المسيحي» (Incelli, 1942, p: 161).

وخلال أعمال المجمع العام للرهبان الذي انعقد في توليدو عام 1645، أصدر المجمع تعميماً يتعلق بمدارس القدس وبيت لحم والناصرية، مفاده التأكيد على ضرورة



تعليم الدين المسيحي طوال مدة التعليم في هذه المدارس ومدتها تسع سنوات. وهذا يعني أن مدرسة القدس كانت موجودة بالفعل قبل عام 1645 حيث إن المجمع أصدر بعض التعليمات لتنظيم الدراسة والتعليم فيها. وقد صدر قرار عن المجمع الرهباني يشجع فيه على إنشاء مدرسة إلى جانب كل رعية للفرنسيسكان في مختلف أماكن تواجدهم. ففي عام 1699، يذكر تقرير لحارس الأراضي المقدسة، الأب فرنسيس داسانتا فلورا، وجود 22 ديرًا للفرنسيسكان و20 مدرسة، مما يؤكد على الشهادات المختلفة بأن الفرنسيسكان بالفعل أقاموا إلى جانب كل رعية في الشرق الأوسط أيضًا مدرسة. كان نصيب فلسطين عمومًا ست مدارس في القدس وبيت لحم والناصرة وعكا وعين كارم والرملة. ويقول التقرير ذاته إن مدير مدرسة تراسنطا في القدس في تلك الفترة كان اسمه الأب أنتونيوي دي سان بييترو وعدد الطلاب ثلاثون (Incelli, 1942, p: 158).

في تقرير لحارس الأرض المقدسة عام 1687، يؤكد على نشاط المدرسة السابق ذكره والمواد التي يتعلمها التلاميذ، ويضيف إنه يوجد أيضًا تلاميذ منشقون، بمعنى أن أبناء الأرثوذكس أيضًا كانوا هدفًا لمدارس الرهبان (Incelli, 1942, p: 163).

مدرسة لتعليم الحرف المهنية

بالإضافة إلى المدرسة القائمة، افتتح الرهبان في دير المخلص مدرسة لتعليم الفنون والمهن، عام 1740، حتى يتعلم الشباب مهارات ضرورية يكسبون بها قوت يومهم. وعلى ما يبدو، كان بعض الشباب قد بدؤوا منذ عام 1727 و1730 مهنة النجارة. حيث يقول يوحنا ماريّتي في «رواية الواقع الحاضر لمدينة القدس»: «بين المسيحيين اللاتين يوجد حدادون مهرة، ونجارون وصانعو خزائن، وذلك بفضل المعلمين الرهبان المهرة» (Incelli, 1942, p: 164).

الاهتمام بتعليم الفتيات

في تقرير لسكرتير الحراسة، عام 1842، للأب يوحنا باتيستا حول الأراضي المقدسة، يقول: الحارس الجديد الأب كيروينودا كوري، يهتم جداً بالمسيحيين الكاثوليك، وكانت أولى ثمار جهوده العناية بتعليم الفتيان والفتيات. وهذه أول إشارة إلى الاهتمام بتعليم الفتيات إلى جانب الفتيان، فكانت البداية في القدس ولاقَت نجاحًا وقبولاً.

وفي عام 1871، افتتح الأب برناردينو دا فيرمو، كاهن الرعية، مركزاً مهنيًا للفتيات وأوكل إدارته لراهبات الفرنسيسكانيات المرسلات، وفي عام 1885 افتتحو دار أيتام للفتيات تحت إدارة الراهبات (Incelli, 1942, p: 196).

وفي عام 1841، أصدر مجلس مستشاري الحراسة قرارًا بافتتاح أول مدرسة لتعليم الفتيات في القدس، وفي العام التالي في الناصرة وبيت لحم، وعام 1844 في عكا. وفي عام 1848، قام الرهبان الفرنسيسكان بدعوة راهبات مار يوسف الظهور لتولي مهام إدارة مدرسة البنات في القدس ويافا وعام 1853 في بيت لحم (Incelli, 1942, p: 170).

في عام 1852، وبسبب ارتفاع عدد المنتسبين إلى المدرسة، قرر الرهبان تولية شؤون المدرسة إلى إخوة المدارس المسيحية (دي لا سال)، أما الفرنسيسكان فقاموا بافتتاح مدرسة ثانية إلى جانب دار الأيتام التي يديرونها. ولكن بعد عشرة أعوام (1862)، اضطر الرهبان الفرنسيسكان إلى افتتاح مدرسة ثانية بسبب زيادة عدد المنتسبين، فصار في البلدة مدرستان: الفرير وتراسنطا.

المنهاج - مواد التعليم

كان منهاج التعليم في مدارس تراسنطا، عام 1856، يشمل: التعليم المسيحي، اللغة العربية والإنكليزية والفرنسية، والتاريخ والجغرافية والخط والرياضيات، يضاف إلى ذلك



المهن للفتيات. وفي عام 1893، كانت مدارس الرهبان تعلم: التعليم المسيحي والجغرافيا والرسم والتاريخ المقدس وتاريخ الرومان والتاريخ الطبيعي والتدريب والرياضة والقراءة العلنية. أما مدارس الفتيات فتعلم: التعليم المسيحي والعربية والإيطالية والفرنسية والرياضيات والتاريخ المقدس والتاريخ الروماني والجغرافيا (Incelli, 1942, p: 175).

وفي عام 1911، قامت حراسة الأرض المقدسة ببناء مدرسة جديدة خارج أسوار البلدة القديمة بين باب الجديد وباب العامود دمرها الإسرائيليون بعد احتلال القدس الشرقية عام 1967 (klimas, 2019, p: 552).

جدير بالذكر أن مدرسة تراسنطا في البلدة القديمة لا تزال مفتوحة إلى اليوم، وكذلك مدرسة الفريير - إخوة المدارس المسيحية التي افتتحت لها فرعاً آخر في بيت حنينا شمال مدينة القدس، وأيضاً مدرسة راهبات مار يوسف الظهور. ولكن قام الفرنسي سكان بإغلاق دار الأيتام وذلك قبل نحو عقدين من الزمن.

ثانياً، مدرسة راهبات صهيون «سيّدة صهيون» (Halabi, 2007)

الاسم الرسمي هو مدرسة «نوتردام دي سيون»، وتعني سيدة صهيون كناية عن العذراء مريم. تأسست عام 1862 وقد بقيت تعمل في مجال تعليم الفتيات حتى عام 1948، ثم تحوّلت إلى كنيسة ومزار «هوذا الرجل» وهي معروفة باسمها باللاتينية (إيتشي هو مو / Ecce Homo). وقد ذاع صيتها بسبب مستواها الرفيع في تعليم الفتيات حتى اجتذبت الطالبات من سائر فلسطين والبلدان المجاورة وكذلك أيضاً بنات الإنكليز في فترة الانتداب.

نشأت المدرسة مع ثيودور وألفونس راتيسبون، وهما ابنان لأحد أثرياء اليهود الألمان، اهتديا إلى الإيمان المسيحي وارتسما كاهنين في الكنيسة الكاثوليكية. فأسس الأب ثيودور رهبانية سيّدة صهيون في ستراسبورغ، أما أخوه الذي اتخذ لنفسه اسم

«ماري - ألفونس» فقد رغب في تأسيس رهبانية للسيدات في القدس. وكانت رسالة هذه الرهبانية الجديدة بالإضافة إلى التعليم، العمل أيضًا مع اليهود والصلاة لأجل هدايتهم إلى الإيمان المسيحي.

فرحل إلى القدس عام 1855، ووصلها في أيلول من نفس العام، وبدأ في البحث عن قطعة أرض يشتريها لإقامة الدير. وقد كان موقع «هوذا الرجل» متاحًا للبيع في تلك الفترة، وهو حسب التقاليد المسيحية قصر الحاكم الروماني بيبلاطس البنطي، الذي فيه تمت محاكمة السيد المسيح (يوحنا 19، 5). فعاد إلى أوروبا وجمع الأموال اللازمة من بعض الأثرياء وعاد إلى القدس حيث قام بين عامي 1856 و1862 ببناء دير للراهبات ودار للأيتام وكنيسة.

في 6 أيار / مايو 1856، عندما وصلت الراهبات نوعيمي وإليكتا وفيكنتورين ومارث إلى القدس من فرنسا من أجل بدء رهبانية ومدرسة سيدة صهيون، اضطرن إلى الإقامة مؤقتًا في مسكن في خان الزيت أثناء بناء الدير. وفي عام 1862، بعد الانتهاء من بناء الدير والمدرسة، فتحت الأخوات الأربع أبواب صهيون لأول (12) طالبة. بحلول عام 1881، زاد عدد الراهبات إلى (24)، والأطفال إلى (186). في البداية، قدمت مدرسة صهيون للأطفال الأكثر احتياجًا في البلدة القديمة برنامجًا يوميًا يتضمن دروسًا عملية باللغتين الفرنسية والعربية، بالإضافة إلى الأعمال المنزلية والتطريز. كان للمدرسة أيضًا مستوصف يقدم الخدمات الطبية لسكان القدس.

نحو نهاية القرن التاسع عشر، أضافت الراهبات مدرسة داخلية لخدمة 25 فتاة، بما في ذلك بنات الباشا. وعوضًا عن تدريس الأعمال المنزلية والتطريز، قامت المدرسة الداخلية بتدريس اللغات (الفرنسية والتركية والإيطالية والإنكليزية والألمانية) والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والموسيقى والرسم والتطريز. من المهم أن نلاحظ أنه في الأيام



الأولى لمدرسة صهيون، لم تكن اللغة العربية جزءاً من المناهج الدراسية.

فتحت المدرسة أبوابها للأيتام والمعوزين في مرحلة مبكرة، لكنها سرعان ما أدركت أنها يمكن أن تجذب الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العليا والدنيا من خلال إنشاء برامج منفصلة داخل نفس المدرسة.

وبما أن الاضطرابات السياسية في المنطقة أوجدت العديد من اللاجئين والأيتام والأسر المعدمة، كانت هناك حاجة كبيرة للتعليم المدعوم أو المجاني. منذ البداية، استقبلت صهيون العديد من الأيتام الموارنة الذين فروا من مذابح الدروز عام 1860 في لبنان والذين وجدوا ملجأ لهم في القدس. وفي وقت لاحق، بين عامي 1915 و1923، استقبلت القدس تدفقاً كبيراً من الأيتام واللاجئين الأرمن الفارين من الإبادة الجماعية للأرمن إلى عروض السكن المجاني والتعليم المجاني والتبرعات الأسبوعية بالخبز من الكنائس الأرمنية والكاثوليكية.

معظم الفتيات المسلمات والمسيحيات اللواتي التحقن بالمدارس التبشيرية وجدن أن المدارس منفتحة على الإسلام متكيفة معه. بالنظر إلى أن الفرنسية كانت تعتبر في ذلك الوقت لغة التجارة والتربية الجيدة، كان ينظر إلى المدارس الكاثوليكية الفرنسية على أنها تقدم خدمة مهمة للسكان المحليين. من بين العائلات المسيحية الميسورة التي ترددت إلى المدرسة كانت عائلات بطاطو وقطان وحبیب وزفير ياديس وحزبون وحمصي وألونزو وراحيل ولورنزو، وألبينا وأبو خليل وأبو صوان وأيوب وخوري وصفية وسلامة.

هذا وقد ارتادت المدرسة أيضاً عدد من بنات العائلات الإسلامية. ولكن مع ازدياد عدد الفتيات المسلمات، فتحت المدرسة قسماً منفصلاً لهن، خوفاً من أن تتهم السلطات العثمانية والسكان المسلمون الراهبات بالعمل على تبشير الفتيات المسلمات وتحويلهن

خلصة إلى الكاثوليكية. من بين العائلات المسلمة البارزة التي ارتادت مدرسة صهيون نجد فتيات من الخالدي والحسيني والنشاشيبي وعبد الهادي وجار الله.

على أية حال، للأسف اضطرت الراهبات إلى التمييز بين الطالبات، وذلك حسب حالتهم الاجتماعية حيث على ما يبدو كان للطالبات زي خاص بهن يميز بين العائلات الثرية التي تدفع كامل الرسوم، والعائلات المستورة التي تدفع القليل والفتيات اللواتي أقمن في دار الأيتام، وهذا ترك أثراً في نفس الفتيات رغم تقديرهن الكبير للمدرسة والراهبات.

على الرغم من أن العديد من المدارس الخاصة المهمة كانت تدار من قبل المبشرين أو الطوائف الدينية الأخرى، المسيحية والإسلامية، إلا أن طلاب هذه المدارس لم يتم تقسيمهم على أسس طائفية. فقد ارتادت مدرسة صهيون العديد من بنات العائلات المسلمة المقدسية المتميزة. وكان من بينهم خديجة حدوثة العلمي، التي دخلت المدرسة عام 1880، وزهية النشاشيبي، التي ارتادتها في الحرب العالمية الأولى.

مما أورده التقرير أعلاه يتبين أن اللغة العربية لم تكن أولوية للراهبات في مدرسة صهيون، وقد اكتفين بحصة واحدة أسبوعياً مع الإصرار على أن تكون لغة المحادثة في الدير والمدرسة هي الفرنسية. ولكن بالرغم من هذه النقيصة - إذا أمكننا تسميتها كذلك - من الواضح أن المدرسة لم تكن تبشيرية على الإطلاق، حيث لم تقم بأي مجهود يذكر لمحاولة هداية الفتيات المسلمات إلى المسيحية.

ثالثاً، مدرسة المطران غوبات

كانت بريطانيا جادة في تعزيز نفوذها في الشرق الأوسط، وخاصة في فلسطين، بعد الغزو الفرنسي لمصر وتمرد محمد علي في سوريا الكبرى. وللقيام بذلك، سعت بريطانيا إلى إنشاء مجتمع بروتستانتي في المنطقة تحميه بشكل مباشر - كما فعلت فرنسا وروسيا مع



المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس في المنطقة، على التوالي - ودفعت لبناء أول كنيسة بروتستانتية في القدس. كما كان للمنظمات التبشيرية، وعلى رأسها جمعية لندن لتعزيز المسيحية بين اليهود، مصلحة راسخة في تشكيل مجتمع بروتستانتية في فلسطين (omar, 2023, p: 81).

كان الأسقف البروتستانتية الثاني الذي خدم في القدس رجل دين سويسري المولد يتحدث الألمانية يدعى صموئيل جوبات، والذي وضع نعمة جديدة للنشاط الأنجليكاني في فلسطين من خلال التركيز على التعليم. خلال فترة ولايته كأسقف (1846 - 1879)، افتتحت اثنتان وأربعون مدرسة أنجليكانية ورسم أول كاهنين عربيين فلسطينيين. عمل المبشرون الألمان والإنكليز معاً لفتح مدارس بروتستانتية مسكونية مثل مدرسة شنيلر في القدس، وتعاونوا في مشاريع أسقفية مثل دور الأيتام والعيادات. كانت العلاقات البروتستانتية الإنجيلية بين هؤلاء المبشرين الإنكليز والألمان قوية بما يكفي لإنتاج علاقة تعاونية لبضعة عقود.

جدير بالذكر أنه في عام 1847، ورد في سجلات الرهبان الفرنسيين أن المطران غوبات أصدر في تقرير أرسله إلى القنصل العام البريطاني في بيروت أنه كانت في القدس مدرسة واحدة فقط يتعلم فيها 20 تلميذاً. في حين أن الحارس العام سنة 1835 كان قد أفاد بوجود أربع مدارس في القدس يتعلم فيها 139 تلميذاً. ونعلم كما أسلفنا أن التعليم تحسّن بين عامي 1841 و عام 1847 و بات أيضًا يوفر فرص التعليم للفتيات (Incelli, 1942, p: 196). من المرجح أن الأسقف غوبات كان يحاول إقناع القنصل بدعم فكرة إنشاء المدارس البريطانية ودعمها، وذلك حتى تتمكن بريطانيا بدورها من وضع قدمها في البلاد أسوة بفرنسا وروسيا، وبالتالي إذا نجحت المدارس في استقطاب المسيحيين إلى البروتستانتية، تصبح بريطانيا حامية البروتستانت والحرية الدينية، وتكسب لها موطن

قدم ثابت (أبو حنا، 2005، ص: 16).

مثل سابقاتها التبشيرية، عرفت الأسقفية في عهد جوبات نفسها عمداً ليس ضد الإسلام، ولكن ضد الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية في فلسطين. إلى حد ما، كان هذا بسبب القيود القانونية العثمانية التي تحظر التبشير للمسلمين. لكنه عكس أيضاً التعريف الذاتي الأساسي للحركة الإنجيلية البروتستانتية الأوروبية كرد فعل على الأشكال والممارسات «المنحطة» للكاثوليكية. لم يعر غوبات أي اهتمام تقريباً للأغلبية العربية المسلمة، وركز بدلاً من ذلك على تأسيس الكنيسة البروتستانتية كبديل للمجتمعات الأرثوذكسية والكاثوليكية للمسيحيين «الأصليين».

أثار نهجه غضباً كبيراً في كل من الطوائف الأرثوذكسية والكاثوليكية، وأدى تكتيكه المتمثل في تجنيد الطلاب للمدارس الأنجليكانية الجديدة من المجتمعات الأرثوذكسية والكاثوليكية إلى احتجاجات وحتى أعمال انتقامية عنيفة. في عام 1852، نزل حشد كاثوليكي إلى مدرسة الجمعية الإرسالية المسيحية (CMS) في الناصرة، مما أدى إلى تدمير المبنى وإصابة أحد المبشرين العاملين هناك. سرعان ما طورت بطريركية الروم الأرثوذكس علاقة عدائية شديدة مع غوبات، وفي عام 1853 هاجم المتظاهرون الأرثوذكس في نابلس دار الإرسالية البروتستانتية أثناء القداس، مما تسبب في فرار المصلين المجتمعين في حالة من الذعر. كما أثنت البطريركية الأرثوذكسية الارتباط بالمؤسسات الأنجليكانية بالتهديد بطرد أفراد الطوائف غير الممثلين من منازلهم في ممتلكات الكنيسة. على الرغم من أن تكتيكات جوبات العدوانية في التجنيد من المجتمع الأرثوذكسي كانت مكروهة في بعض الأحيان من قبل الأنجليكان الإنكليز الذين اعتنقوا مبدأ الوحدة المسيحية، إلا أن أفعاله وأنشطته كان لها تأثير في تحديد الوجود الأنجليكاني في فلسطين على أنه منخرط في المقام الأول في معركة ضد الأشكال



«المنحطة» للمسيحية، وليس ضد الإسلام (Robson, 2009).

رابعًا، كلية شميدت للبنات

تأسست المدرسة عام 1886 في القدس بصفتها مدرسة كاثوليكية خاصة لتعليم الفتيات وذلك بدعم من برنامج المساعدات الكاثوليكي (كل المعلومات مستقاة من موقع المؤسسة الإلكتروني)⁽¹⁾.

بعد الانتهاء من «المضافة القديمة» بالقرب من باب الخليل عام 1887، بالإضافة إلى مضافة الحجاج وجناح المستشفى، تم إنشاء مدرسة للبنات هدفها تعليم الفتيات المسيحيات والمسلمات تحت إشراف راهبات البوروميان. بعد بضع سنوات، عندما تولى الأب فيلهلم شميدت إدارة المدرسة عام 1890، وهو الذي لا تزال المدرسة تحمل اسمه، تطورت المدرسة لتصبح واحدة من أفضل المؤسسات التعليمية في القدس. حظيت مدرسة شميدت بتقدير كبير ليس فقط من قبل المسيحيين في المدينة، ولكن بشكل خاص من قبل العائلات المسلمة بسبب منهجها التعليمي العالمي، الذي كان متسامحًا مع القضايا الدينية.

خلال هذا الوقت، كان التدريس يعتمد على مناهج المدارس الابتدائية الألمانية وكانت اللغة الألمانية موضوعًا رئيسًا فقط في هذه المدرسة في القدس. توفي الأب فيلهلم شميدت عام 1907، وخلفه الأب إرنست شميتز، الذي استمر في إنشاء المكتبات وتوسيعها لتشمل مجموعات العلوم الطبيعية، مما يعني أن المعدات في المدرسة كانت على مستوى عال نسبيًا في ذلك الوقت. تمكن شميتز أيضًا من إقامة ندوة للمعلمين، والتي انتقلت إلى مقر بيت بولس (Paulus House)، الذي افتتح في عام 1908.

(1) ينظر الموقع الإلكتروني للمدرسة (شاهد في 24 / 03 / 2025):

<https://schmidtschule.schule/en/geschichte/>

مع بداية الحرب العالمية الأولى، تم إغلاق مدرسة الشميدت، مثل جميع المؤسسات المماثلة تحت الإدارة الأجنبية، ولكن بفضل العلاقات الجيدة بين برلين والقسطنطينية، تمكنت المدرسة من استئناف التدريس في وقت مبكر من بداية عام 1915. ولكن بعد أن استولى البريطانيون على المدينة في عام 1918، تم إغلاق المدرسة لمدة ثلاث سنوات في وقت لاحق من ذلك العام. ولا تزال المدرسة تنشط في مجال تعليم الفتيات حتى يومنا هذا في مقرها الجديد في «بيت بولس» مقابل باب العامود.

خامسًا، مدارس أخرى

(1) المدارس الروسية

بدأ اهتمام الروس بفلسطين في منتصف القرن الثامن عشر، حيث سعت ليكون لها مركز ومكانة في المساهمة في حماية الرعايا الأرثوذكس. ولكن تم تأسيس أولى الجمعيات الروسية عام 1854 تحت اسم «الرسالة الروحية الروسية في أورشليم»، والثانية هي «الجمعية الإمبراطورية الأرثوذكسية الفلسطينية الروسية» وذلك في أيار / مايو عام 1882 وذلك لحفظ الأرثوذكسية في البلاد المقدسة. وهذه الجمعية هي التي أنشأت شبكة من المدارس بلغ عددها 114 مدرسة تضم 15 ألف طالب وطالبة سنة 1914. ولكن لتجنب المشاكل والمواجهات مع بطريركية الروم الأرثوذكس، لم تنشئ أي مدرسة في القدس واعتبرت مدرسة طاليثا قومي في بيت جالا هي مدرسة الروس في القدس.

(2) مدرسة الشباب (1877 - 1904)

هي مدرسة أنشأتها الإرسالية البروتستانتية. أهم ما ورد بشأن هذه المدرسة هي الشهادة لها بتخريج أفواج تعرف العربية وتؤمن بالوطنية. فقد «انضم إلى الهيئة التدريسية فيها سنة 1892 المعلم نخلة زريق الذي بشهادة خليل السكاكيني، استطاع بنفوذه وشخصيته



الراقية أن يجعل من تلك المدرسة الأجنبية مدرسة وطنية تخرج مبشرين بالوطنية كما كانت تخرج مبشرين بالدين. وقد عرف نخلة بحب اللغة العربية والتضلع فيها والحماسة لترسيخها ونشرها. وقال فيه تلميذه حبيب الخوري الذي أصبح مفتشاً للعربية فيما بعد: «كان من أكبر العوامل لإحياء اللغة العربية، ولقيام نهضة أدبية في فلسطين» (أبو حنا، 2005، ص: 17).

(3) الكلية الإنكليزية (1904 - 1930)

بعد إغلاق مدرسة الشباب، تم إنشاء الكلية الإنكليزية، وكانت الدراسة فيها ثلاثة أعوام. يقول حسن الكرمي الذي جاء ليدرس فيها سنة 1924: ولم تكن الكلية كاملة وكان فيها ثلاثة صفوف أو أربعة، اثنان منها جامعيان و صف أو صفان دون المرتبة الجامعية، وطلابها خليط من فلسطينيين وأردنيين وعراقيين ويهود، نذكر من طلابها سليمان النابلسي الذي صار فيما بعد سفيراً للأردن في لندن ثم رئيساً للوزارة الأردنية وبهاء طوقان الذي صار فيما بعد وزيراً للبلاط الأردني. أغلقت هذه الكلية في تموز / يوليو 1930 بسبب العجز المالي (أبو حنا، 2005، ص: 17).

(4) مدرسة سان جورج (مدرسة المطران) - 1899

لا تزال ناشطة إلى اليوم في القدس. كان بين المعلمين فيها خليل السكاكيني و خليل بيدس، ومن طلابها الشاعر إبراهيم طوقان (أبو حنا، 2005، ص: 17).

(5) مدرسة الأيتام السورية الألمانية (شنيللر للأولاد) (Schneller's Boys School)

تقع في إطار المدارس التبشيرية البروتستانتية، وقد عرفت شعبياً باسم مدرسة شنكر، نسبة إلى مؤسسها. وكانت فيها فروع لتعليم النجارة والحدادة وصناعة الأحذية والخياطة والطباعة والزراعة. وفي سنة 1880، فتح شنكر مدرسة في الخليل.

6) مدرسة الأرمن في البلدة القديمة

تأسست عام 1929 وهي بالتالي خارج نطاق الحدود الزمنية لهذه الدراسة.

تعليم الفتيات

كانت الرهبنة الفرنسيسكانية موجودة في فلسطين منذ القرن السادس عشر وأنشأت المدارس الأولى للبنين. فقط في منتصف القرن التاسع عشر بدأت الطوائف الكاثوليكية الأخرى في إظهار اهتمامها بتعليم الفتيات في فلسطين. وقد افتتحت الرهبانية الفرنسيسكانية أول مدرسة لتعليم الفتيات وذلك عام 1941، وفي العام 1947 أحضرت من فرنسا رهبانية القديس يوسف الظهور ليتولين مسؤولة إدارة المدرسة في القدس ثم بيت لحم فالرملة وغيرها. بعد أن فتحت مدرسة سيّدة صهيون أبوابها في عام 1862، أنشأ الكويكرز مدرسة للبنات في رام الله في عام 1889. وفي عام 1895، افتتحت مدرسة بنات مسلمة أنشأها العثمانيون في البلدة القديمة في القدس. كان المعلمون والإداريون مسيحيين ودروزًا ومسلمين (Halabi, 2007).

الخاصة

نستخلص مما سبق أن معظم المدارس المسيحية قد تأسست لخدمة الجماعة المسيحية في الأساس، وفي حين افتتحت مدارس اللاتين أبوابها للأرثوذكس وللمسلمين فيما بعد، بسبب عدم توفر المدارس في حقبة تأسيسها، وتوجه المدارس البروتستانتية لخدمة المسيحيين الكاثوليك والأرثوذكس، لا نجد أي مدرسة قد وجهت نشاطها لاستقطاب المسلمين إلى الديانة المسيحية. وبالتالي، أولى نتائج هذه الورقة هي سقوط شبهة «التبشير» عن المدارس المسيحية التي لا يزال إلى اليوم يطلق عليها اسم مدارس تبشيرية.

كذلك نستخلص مما سبق أن المدارس المسيحية تميزت بالمواد التي تعلمها، وعلى رأسها اللغات الأجنبية التي استقطبت في مرحلة معينة أيضًا الطلاب اليهود الذين رفضوا الالتحاق بالمدارس الصهيونية بسبب تركيزها على اللغة العبرية، وكذلك



استقطبت المدارس المسيحية الطلاب المسلمين بسبب مستواها التعليمي العالي، خاصة مدرسة سيده صهيون للفتيات.

يضاف إلى ذلك، اهتمام هذه المدارس بتعليم اللغة العربية في فترة باتت السلطة العثمانية تسعى لفرض اللغة التركية والتقليل من أهمية اللغة العربية في محاولة لمنع نشوء حركة قومية عربية قد تشكل خطرًا على السلطة الحاكمة.

أخيرًا، جدير بالاهتمام تشجيع المدارس المسيحية على تعليم الفتيات وقد بدأ ذلك في وقت لم يكن التعليم فيه متاحًا بسهولة للذكور، حيث باشر إلى ذلك الرهبان الفرنسيون ومن ثم مدرسة راهبات صهيون وغيرها.

المراجع

- أحمد، محمد. (2009). «الحياة الثقافية والفكرية في القدس في العصر العثماني». مجلة العلوم الإنسانية. ص: 199 - 231.
- الأقرع، مروان. (2020). المدارس العثمانية ودورها في العملية العلمية في بيت المقدس (1874 - 2019). مجلة دراسات بيت المقدس. 20 (1). ص: 103 - 118.
- أنطونيوس، جورج. (1946). يقظة العرب. تعريب علي حيدر الركابي. دمشق: مطبعة الترقى.
- البسطامي، مراد. (2011). الحداثة الفلسطينية بين الإقطاعيين والصعاليك. في «فكر الحداثة في فلسطين، مساهمات في تاريخ الثقافة». تحرير: وليد سالم. القدس: مركز الديمقراطية وتنمية المجتمع. ص: 49 - 75.
- تراكة، خضرة، وبزيو، دلال. (2023). التعليم في فلسطين أواخر العهد العثماني 1808 - 1924 م، دراسة ماجستير، غير منشورة. جامعة محمد خضير بسكرة.
- أبو حنا، حنا. (2005). طلائع النهضة في فلسطين (خريجو المدارس الروسية) 1862 - 1914. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- زيدان، جورجى. (1914 / 05 / 01). فلسطين تاريخها وآثارها وسائر أحوالها الاجتماعية والاقتصادية والعلمية. مجلة الهلال. العدد (8). يُنظر الرابط (شوهده في 24 / 03 / 2025):
<https://archive.alsharekh.org/Articles/134/13069/255583>
- سالم، وليد. (2011). «يوسف ضياء الخالدي وروحي الخالدي: المفكران العثمانيان». «فكر الحداثة في فلسطين، مساهمات في تاريخ الثقافة». تحرير: وليد سالم. القدس: مركز الديمقراطية وتنمية المجتمع. ص: 91 - 121.
- صلاح الدين، بنان. (2020). الفكر التربوي عند الأديب المقدسي خليل السكاكيني. مجلة اتحاد الجامعات العربية للأداب. المجلد (17). العدد (2). ص: 675 - 703.

المراجع الأجنبية

- Demirkan, R. Merve. (2020). Schools for the Holy City: Education, Imperial Loyalty and Missionaries in Late Ottoman Jerusalem, 1876 - 1909. Budapest.
- Halaby, Mona Hajjar. (Summer, 2007). «School Days in Mandate Jerusalem at



- Dames de Sion». *Jerusalem Quarterly*. Issue (31). pp. 40 – 71.
- Halperin, Liora R. (2014). «the Battle over Jewish Students in the Christian Missionary Schools of Mandate Palestine». in «The Christian Missionary Schools of Mandate Palestine». *Middle Eastern Studies*. Retrieved 24 /03 /2025
- <https://www.tandfonline.com/doi/epdf/10.1080/00263206.2014.886574?needAccess=true>
- HaZboun, Joseph. (1991). *La Parrocchia Latina di Betlemme – Origine. Jerusalem: sviluppo e attività.*
 - Incelli, P. Giuseppe. (1942). *Le Scuole di Terra Santa*, in *Custodia di Terra Santa 1342 – 1942* .
 - Jenkins, Philip. (2008). *The Lost History of Christianity*. New York: Harper Collins Publishers
 - Kark, Ruth. (2008). «Missionary Societies in the Holy Land in an International Context», in: Jakob Eisler (ed.), *Deutsche in Palästina und ihr Anteil an der Modernisierung des Landes*, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden. pp. 14 – 29 (in English).
 - Klimas, Narcyz. (2019). *Le Scuole della Custodia di Terra Santa*. *Collectanea Franciscana*, Annus (89). Fasc. 3 – 4.
 - Omar, Yousef Hussein. (Summer, 2023). *Britain's Position on Establishing the Protestant Church in Jerusalem (1841–45)*. *Jerusalem Quarterly*. Issue (94).
 - Robson, Laura. (Winter, 2009). «Archeology and Mission: The British Presence in Nineteenth Century Jerusalem». *Jerusalem Quarterly*. Issue (40).



المبنى الرئيسي لدار اليتام السورية كما كان خلال ثلاثينيات القرن العشرين
(موقع تاريخ كنيسة فور تمبيرغ على الإنترنت)